

تفسير البحر المحيط

@ 157 @ بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء . .

{ وَإِذَا رَأَيْتَ السَّادِّينَ يَخُوضُونَ فِداءياتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ° حَتَّى يَخُوضُوا ° فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم (ويدخل فيه المؤمنون لأن علة النهي وهو سماع الخوض في آيات الله يشملهم وإياهم . وقيل : هو خاص بتوحيده لأن قيامه عنهم كان يشق عليهم وفراقه على مغاضبه والمؤمنون عندهم ليسوا كهو . وقيل : خطاب للسامع والذين يخوضون المشركون أو اليهود أو أصحاب الأهواء ثلاثة أقوال ، ورأيت هنا بصرية ولذلك تعدت إلى واحد ولا بد من تقدير حال محذوفة أي { وَإِذَا رَأَيْتَ السَّادِّينَ يَخُوضُونَ فِداءياتِنَا } وهم خائضون فيها أي وإذا رأيتهم ملتبسين بهذه الحالة . وقيل : { رَأَيْتُ } علمية لأن الخوض في الآيات ليس مما يدرك بحاسة البصر وهذا فيه بعد لأنه يلزم من ذلك حذف المفعول الثاني من باب علمت فيكون التقدير { وَإِذَا رَأَيْتَ السَّادِّينَ يَخُوضُونَ فِداءياتِنَا } خائضين فيها وحذفه اختصاراً لا يجوز وحذفه اختصاراً عزيز جداً حتى أن بعض النحويين منعه والخوض في الآيات كناية عن الاستهزاء بها والطنع فيها . وكانت قريش في أنديتها تفعل ذلك { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ° } أي لا تجالسهم وقم عنهم وليس إعرافاً بالقلب وحده بينه وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ، وقد تقدم من قول المفسرين في هذه الآية أن قوله : وقد نزل عليكم في الكتاب : أن الذي نزل في الكتاب هو قوله : { وَإِذَا رَأَيْتَ السَّادِّينَ يَخُوضُونَ } الآية و { حَتَّى يَخُوضُوا ° } غاية الإعراف عنهم أي فلا بأس أن تجالسهم والضمير في { غَيْرُهُ } قال الحوفي عائد إلى الخوض كما قال الشاعر : % (إذ نهى السفية جرى إليه % . وخالف والسفيه إلى خلاف . %)

أي جرى إلى السفه . وقال أبو البقاء : إنما ذكر الهاء لأنه أعادها على معنى الآيات ولأنها حديث وقول : .

{ وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بِعَدِّ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوِّمِ الطَّالِمِينَ } أي إن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى أي ذكرك النهي . قال الزمخشري : ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسبك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد إن

ذكرناك قبها ونبهناك عليه معهم ؛ انتهى . وهو خلاف ظاهر الشرط لأنه قد نهى عن القعود معهم قبل ثم عطف على الشرط السابق هذا الشرط فكله مستقبل وما أحسن مجيء الشرط الأول بإذا التي هي للمحقق لأن كونهم يخوضون في الآيات محقق ومجيء الشرط الثاني ب (أن) لأن إن لغير المحقق وجاء { مَعَ الْقَوِّمِ الطَّالِمِينَ } تنبيهاً على علة الخوض في الآيات والطعن فيها وأن سبب ذلك ظلمهم وهو مجاوزة الحد ووضع الأشياء غير مواضعها . قال ابن عطية : وأما شرط ويلزمها النون الثقيلة في الأغلب وقد لا تلزم كما قال الشاعر :
أما يصبك عدو في مناوأة .

إلى غير ذلك من الأمثلة ؛ انتهى . وهذه المسألة فيها خلاف ، ذهب بعض النحويين إلى أنها إذا زيدت بعد إن ما لزم نون التوكيد ولا يجوز حذفها إلا ضرورة وذهب بعضهم إلى أنها لا تلزم وإنه يجوز في الكلام وتقييده الثقيلة ليس بجيد بل الصواب النون المؤكدة سواء كانت ثقيلة أم خفيفة وكأنه نظر إلى موارد في القرآن وكونها لم تجيء فيها بعد أما إلا الثقيلة . وقرأ ابن عامر { يُنْسِيَنَّكَ } مشدداً عداه بالتضعيف وعداه الجمهور بالهمزة . وقال ابن عطية